مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(9)، العدد (1)، (جوان-.2024)، ص 501-512
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

التفويض كآلية لممارسة العنف الرمزي عند بيير بورديو

Delegation as a mechanism for exercising symbolic violence according to Pierre Bourdieu

حورية علاهم[1]*، جمال الدين بن سليمان[2]

[1]مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، houria.allahoum@univ-biskra.dz ،

[2] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، E-mail، djameleddine.bensliman@univ-biskra.dz

تاريخ الإرسال: 2024/02/28 **تاريخ القبول: 2024/05/19**

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية معالجة أحد المفاهيم المركزية التي تمثلها الموقف السوسيولغوي عند بيرر بورديو، ألا وهو مفهوم التفويض كأحد المصطلحات التي صاغها لتدعيم موقفه ونظريته في السلطة الرمزية التي تم معه نقلها من المفهوم التقليدي، وإعطاءها معنى أخر؛ بإضافة فكرة الرمزية عليها وربطها بجملة من المصطلحات منها: الرأسمال اللغوي، والرأسمال الاجتماعي، ومفهوم الهابيتوس، ومصطلح العنف الرمزي، هذا الأخير الذي مثل مفهوما مركزيا في مواقفه من السلطة من خلال ربطه بمجالات عدة مثل: السياسة، والفن، والعلم، والتعليم واعتبر كل من هذه المجالات هي آليات تكرس للممارسة هذا النوع من العنف، ومن بين بينها اللغة كآلية للممارسة هذا الأخير، والتي من خلالها جاء بمفهوم التفويض كنوع من الوسائل الرمزية السلطوية التي يحمل ظاهرها تمثيل، وتوكيل للكلام باسم من ليس باستطاعتهم الكلام عن مصالحهم، وفي الباطن كما يراه عنفا ووسيلة خفية وناعمة تمرر من خلالها المصالح الخاصة تحت غطاء الشرعية.

كلمات مفتاحية: بيير بورديو؛ التفويض؛ السلطة الرمزية؛ العنف الرمزي؛ الرأسمال اللغوي.

Abstract

This research paper aims to address one of the central concepts represented by Pierre Bourdieu's sociolinguistic stance, which is the concept of delegation as one of the terms he coined to support his position and theory of symbolic power, which was transferred from the traditional concept and given another meaning. By adding the idea of symbolism to it and linking it to a number of terms, including: linguistic capital, social capital, the concept of Habitus, and the term symbolic violence, which representing a central concept in his view on power by linking it to several fields such as: politics, art, science, and education. He considered each of these fields are mechanisms that devote the practice of this type of violence. Among them, language as a mechanism for exercising violence, through which he came up with the concept of delegation as a type of authoritarian symbolic means that carries on the surface representation and authorization to speak in the name of those who are unable to speak for their interests, and implicitly, as he considers violence as a hidden and soft means through which special interests pass under the guise of legitimacy.

Keywords: Pierre Bourdieu; Delegation; Symbolic Power; Symbolic Violence; Linguistic Capital.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

قدم بورديو من خلال مواقفه السوسيولوجية مفاهيم عديدة في ميدان علم الاجتماع والفلسفة بشكل عام، حيث أن القارئ الجيد لما قدمه يستنتج بوضوح رصانة إنتاجه في مجال فلسفة اللغة بالتحديد، من منطلق بناءه لمفاهيم ناقدة لعدة بناءات نظرية في اللسانيات، والتي بنى عليها مواقفه السوسيولولغوية وهذا ما صادقت عليه جمله من المفاهيم التي أطرها مفهومه العام حول السلطة، التي كانت بمثابة نسق عام بنى عليه بورديو جل مفاهيمه وربطه بها، وقد جاء مفهوم السلطة عنده ملازما لمفهوم العنف الرمزي، وكان هذا الأخير ملازما لمفاهيم أخرى نقدية كمفهومه للتفويض الذي نقله من بناءه البريء كطريقة نزيهة ومرغوبة إلى اعتباره إحدى آليات ممارسة العنف الرمزي والآليات السلطوية؛ من خلال إضافته لجملة الآليات الأخرى ممارسة للعنف مثل: الإعلام، السياسة، الفن، والتعليم ...الخ؛ ويعتبر بورديو اللغة من بين أكثر هذه الآليات، وأشدها وطأ على الإنسان ممارسة للعنف؛ من خلال انطواءها تحت لواء الجانب الثقافي كأخطر الميادين التي تعد مساحة خصبه لممارسة العنف، ومن منطلق ذلك صاغ مصطلح التفويض الذي اعتبره من بين الآليات اللغوية ممارسة للعنف؛ فكيف يكون التفويض آلية من آليات ممارسة العنف الرمزي؟

2- في معنى التفويض

لغة: جاء في معجم المعاني مصطلح التفويض مشتق من مصدر فوّض، أي قرر تفويض أمره لشريكه، جعله حرا في التصرف فيه. وفوض فلانا في الأمر: أي أنابه ووكّله، أقامه مقامه، فالتفويض إذن يأخذ معنى الإنابة، ومعنى التوكيل، ويقال فوض إليه أمره أنابه إليه، كما وردت كلمة التفويض في معجم ابن منظور تحت معنى: "فوّض إليه الأمر، أي صيّره إليه، وجعله الحاكم فيه، وفوضت أمري إليك في الدعاء، أي رددته إليك (إبن منطور، 1984).

أما اصطلاحا فالتفويض هو تقديم المهام لشخص معين للأداء نيابة عن الآخرين في اتخاذ القرار، كما نجد أن مفهوم التفويض يستخدم عادة في السياسة عن طريق ما يعرف بتفويض السلطة؛ ويعنى هنا العملية التي يتم من خلالها منح صلاحيات معينة لمختلف مستويات النظم الإدارية، وتحديد الإطار الذي يمكن لكل منهم العمل فيه، وذلك لتسيير عملية اتخاذ القرار عند مستواه الأنسب، "فالتفويض يتضمن تعيين مهام للمرؤوسين ومنحهم السلطة اللازمة لممارسة هذه المهام، مع استعداد المرؤوسين لتحمل تبعات المسؤولية لأداء مقبول لهذه المهام (مكاوي، 2015، صفحة 22). وبعبارة أخرى "منح الغير (المفوض إليه) حق التصرف واتخذت القرار في نطاق محدد، وبالقدر اللازم لإنجاز مهمة معينة (مكاوي، 2015).

ويُعرَّف التفويض في السلطة أو التفويض الإداري: " بأن يقوم المدير بتوزيع بعض الأعمال في الجانب الإداري على العاملين معه ويمنحهم بعض سلطاته الإدارية " (المساد، 2004، صفحة 49).

ونتحدث هنا عن نوع من أنواع التفويض وهو التفويض الكلامي أي، أن أوكل شخص ما للكلام بدلا عني أو ينطق على لساني، ويذهب الباحث "فيرونيك برونكارت" (Veronique Bronckart) إلى أن التفويض فعل لابد منه في ضل تطور المجتمع، وربط التفويض بالمجتمع من حيث أن المجتمع يحتاج من ينوب عنه في القول، ولذلك أصبح من الضروري اختيار أشخاص مناسبين لأداء بعض الأدوار التي لا يمكن لأي كان تأديتها؛ ف "المجتمع يتحرك باستمرار حيث يعد الأداء أمرًا ضروريًا، فإن تفويض المهام لزملائك يمكن أن يحدث فرقًا كبيرًا." (Bronckart, 2016, p. 12).

2-1- التفويض كما يعرفه بورديو

في كتابه المعنون ب: "بعبارة أخرى" صاغ بورديو أحد العناوين "التفويض والصنمية السياسية" والتي يعرف من خلالها "التفويض بموجبه يمنح شخص ما سلطة لشخص آخر (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 263)". ويستطرد بقوله: "هو نقل السلطة الذي بمقتضاه يرخص موكل لوكيل بأن يوقع بدلا منه، أي يمنحه (plena potertia agendi) السلطة الكاملة للتصرف بدلا منه" (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 263).

ويستخدم بورديو مصطلح التفويض كذلك بمعنى التوكيل، النقل، النيابة، الانتداب، التكليف، التمثيل ...إلخ، ونظرا لتداخل هذا المصطلح مع مصطلحات أخرى، مما جعله من المصطلحات الشديدة التعقيد، وبالتالي هو يستحق التأمل والنظر.

ويربط بورديو بين التفويض والسلطة، من خلال تعريفه أن التفويض هو توكيل شخص بتولي سلطة: "وحامل السلطة الكاملة، الوزير، الوكيل، المفوض، المتحدث الرسمي، النائب، البرلماني، هو شخص لديه انتداب، أو توكيل، أو تكليف لكي يمثل" (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 263). ويعرفه بقوله: "هو الفعل الذي تتكون من خلاله جماعة ما بامتلاكها لمجموع تلك الأشياء التي تصنع الجماعات، أي بامتلاكها لدوام ولمندوبين، لمكتب، بكل معاني هذه الكلمة، وقبل كل شيء بمعنى نمط التنظيم البيروقراطي، بختم وشعار، وتوقيع، وختامة رسمية إلى أخره" (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 264).

ويرى التفويض على أنه فعل ناتج عن وعي، فعلى حد قوله في كتابه العقل العملي: "أفعال التفويض هي التزامات واعية وطوعية، في أغلب الأحيان (Bourdieu P. , Le Sens pratique, 1981, p. 83)"، وبعبارة أخرى هو:" خروج من الوجود التسلسلي الفردي إلى الوجود الجماعي هذا الأخير الذي يمثل التحدث عن النحن (Bourdieu P. , Le Sens pratique, 1981, p. 83)

ومن ثم، فإن التمثيل أو التفويض يعمل لكي يكون ناجحًا على تحويل أنطولوجي لحالة الأفراد من كائنات غير متبلورة وصامتة وعاجزة، يصبحون شخصًا فريدًا، أي ممثلًا يتمتع بصوت ليقول "باسم هؤلاء" ما لا يستطيع أن يقولونه، كما يتوافق التمثيل مع انتقال رسمي للسلطة الشرعية إلى حد ما، مما يسمح لهذا الطرف بالتصرف نيابة عن شخص أو مجموعة. (Sacramento, 2019, p. 03).

2-2- الرأسمال اللغوي كأحد شروط التفويض

يمثل الرأسمال اللغوي ما يحوزه الشخص من موارد لغوية، وهو بوصف بورديو أحد أشكال الرأسمال الثقافي، والذي من منطلقه تحدد مكانة الشخص الاجتماعية، وهنا نحن نتحدث عن هذا الرأسمال كشرط من شروط تحقق عملية التفويض.

ويشير بورديو في شرحه لنظريته حول التفويض أن هذا الأخير الذي يتعلق باللغة وقوة استخدام الكلمات وفي ذات الآن تستوجب سلطة تقبع خلف العبارات، ومن منطلق ذلك يذهب إلى أن التأثير في الآخرين يستوجب رأسمال رمزي كثيف حازه الشخص المفوض صاحب السلطة؛ "فمن عهد إليه أن يكون ناطقا باللسان لا يستطيع أن يؤثر عن طريق لكلمات على أعضاء الآخرين ويؤثر في أعمالهم على الأشياء ذاتها إلا أن كلامه يكثف رأسمال الرمزي الذي وفرته الجماعة التي فوضت إليه الكلام ووكلت إليه أمر النطق باسمها وأسندت إليه السلطة (بورديو، الرمز والسلطة، 2007، صفحة 59).

إن السلطة الرمزية هنا هي امتلاك رأسمال لغوي يجعل من الكلام ذا قوة من منطلق قوة الكلام الناتج عن السلطة؛ فليس هناك تأثير أو فاعلية للكلام إلا بسلطة والعكس؛ لأن النفوذ السلطوي يقويه ويؤكده النفوذ اللغوي وحسب بورديو: "إن علاقات القوة هي التي تعين دائما حدود فعل قوة الإقناع التي يمتلكها النفوذ الرمزي" (بورديو، الرمز والسلطة، 2007، صفحة 36).

يشير بورديو إلى أن التفويض الكلامي لن يسند إلا لمن كان حائزا على رأسمال رمزي كثيف، كما أن هذه الشروط التي تجعل المفوض مخولا للكلام باسم الجماعة تحتاج إلى شرط آخر؛ وهو التوافق بين المتكلم عن الجماعة والمكانة التي يشغلها في المجتمع.

لا يتم انتقاء المفوض إلا إذا توفرت فيه عدة شروط من بينها أن يكون حاصدا لرأسمال لغوي كبير حتى يستطيع الكلام باسم النحن وفي نفس الوقت فإن الكلام لا يعتد به إلا إذا كان ناتجا عن مفوض، وهنا العلاقة معقدة نوع ما، وجدلية وإن شئنا قلنا شرطية استلزامية تجعل الناطق باسم الجماعة بمثابة "نبي مناقب" بلغة ماكس فيبر، الذي يخرج الجماعة من العدم إلى الوجود، ومن التستر إلى الظهور، إن نطق المفوض محل الغائب جعله حاضرا؛ لأنه حاز الصلاحية في استحضاره عن طريق الكلام عنه، فالكلام محل الغائب يكون مؤسسا عندما يكون الناطق مفوضا للاضطلاع بهذا الكلام الذي يتعدى الأشخاص أو الخطاب العابر للأشخاص.

يقدم بورديو مصطلح التفويض للتعبير عن الخطاب المرخص الذي يعني تفويض الكلام لشخص يمتلك خصائص وشروط تخوله للكلام مثل تمثل سلطة، والتفويض هنا يقدمه بورديو كأحد شروط فاعلية الخطاب فلا يكفي أن يكون الخطاب مرخصا فقط بل لا يتحقق الترخيص إلا إذا تم التفويض؛ فعندما يتم تفويض شخص ما للكلام نيابة عن المجموعة فهو قد أخذ الإذن بالكلام، ومن ثم يصبح مفوضا للكلام باسم هذه الجماعة، وكل ذلك لا يتحقق إلا بامتلاك سلطة وتمثل مكانة تكفل لك حق التفويض الذي يكفل لك رخصة الكلام، ومن منطلق هذا لا يمكن فصل المصطلحين (التفويض والترخيص)، لأن الأول يكفل الثاني والعكس.

كما يرى بورديو أن هناك شروطا يجب أن تتوفر في الشخص حتى يصبح مخولا للكلام باسم الجماعة: من بينها أن يكون ممتلكا لرأسمال لغوي يكفل له تقديم خطاب باسم الآخرين لأن التأثير في الآخرين كما يفهمه بورديو يستوجب رأسمال رمزي كثيف، فمن عهد إليه أن يكون ناطقا باللسان لا يستطيع أن يؤثر عن طريق الكلمات على أعضاء آخرين، ويؤثر عبر أعمالهم على الأشياء ذاتها، إلا لأن كلامه يكثف الرأسمال الرمزي الذي وفرته الجماعة التي فوضت إليه الكلام، وبفعل ما يحمله من رأسمال لغوي وسلطة يسمح له بتمثيل الشعب وفقا لذلك ولا أدق من عبارة نيتشه بقدر ما للشخص من قوة، له من الحقوق، أو بصفة أدق على قدر القوة تكون المصداقية.

ومنه فإن اللغة وحيازة رأسمال لغوي من الأمور التي عدها بورديو شروط تحقيق فاعلية التفويض من خلال الكلام نيابة عن الآخرين لتصبح سلطة الكلام مقرونة بسلطة التفويض وهو ما يلخصه قوله: "ليست سلطة الكلام إلا السلطة الموكلة لمن فوض إليه أمر التكلم، وأقصى ما يمكن أن تفعله اللغة هنا هو تمثيل هذه السلطة والرمز إليها" (Pierre, Présentation de ce que parler veut dire, 1982).

3 - العنف الرمزي:

يشرح بورديو، مصطلح "العنف الرمزي" ليجمع كل "الأنشطة التي تتميز بازدواجية التعسف في الفرض الرمزي" الساحر، الكاهن، النبي، والأستاذ والطبيب النفسي والمحلل النفسي وفي فرض ذلك بشكل تعسفي لمحاورهم، كما يؤكد أن" أي عمل تربوي، هو عنف رمزي موضوعيًا باعتباره فرضًا من قبل السلطة لتعسف ثقافي (Bourdieu P., Méditations Pascaliennes, 1997, p. 11 12)؛ أو أنه: " عنف هادئ لا مرئي لا محسوس حتى بالنسبة إلى ضحاياه. (Bourdieu P., Le Sens pratique, 1981, p. 219).

ويذهب إلى أن العنف الرمزي هو جزء من عائلة الظواهر الرمزية (القوة الرمزية، السيطرة الرمزية، ثورة رمزية، وما إلى ذلك) فقد كتب بورديو: «العنف الرمزي: هو هذا الإكراه الذي لا يتحقق إلا من خلال القبول به كممارسة خفية، وهو ما يجعل قوته تكمن في تواطؤ الممارس عليهم؛

أي المشترك معه في هذه العملية، والذي يصبح بموجبه الخاضع خاضعًا متواطئًا في خضوعه، إلا أن هذه العملية الخضوعية تختلف عن علاقة "العبودية الطوعية "حيث يكون الخاضع متعمد، فالرمزية في العنف هي بالأحرى ثمرة القبول الميكانيكي وغير الطوعي والتي تأخذ مصدرها ضمن مخططات الإدراك المشروطة (Landry, 2016, p. 86).

بحيث يصبح هذا القبول اللاوعي كشكل من أشكال العنف "منقوش بشكل دائم في أجساد المهيمن عليهم في شكل مخططات الإدراك والاستعدادات، ومن هنا يتشاركون مع المهيمنين مخططات الإدراك والتقدير وفقًا لما يُدركون من قبلهم، ووفقًا لما يدركون أنفسهم (Bourdieu P. , Méditations Pascaliennes, 1997, p. 29).

فالعنف الرمزي يولد آثار الهيمنة، والتي تترجم تجريبيا إلى الخضوع والطاعة (Landry, 2016, p. 87) ومن منطلق ذلك فإن النتائج الصادرة عن هذه الممارسة الخفية (العنف الرمزي) ليست مخفية أو غادرة، بل صادقة لأنها متأصلة في البنية المعرفية للفرد كاستعدادات راسخة في ذهنيته تملي عليه أن ما يتعرض له ليس ما يجب أن يكون، وهذا القبول هو ما يزيد العنف قوة ووجودا.

كما يذهب بورديو في مؤلفه "ماذا يعني أن تتكلم" إلى أن العنف الرمزي نتاج التعاون المبني على عدم المعرفة لينتج سلطة بمساعدة الآليات الاجتماعية، ليصبح مبدأ الجهل هنا هو مبدأ كل سلطة (Bourdieu, 1986, p. 19) ومن هنا تصبح علاقات التبعية علاقات طبيعية ومقبولة ومشروعة من قبل أولئك الذين يعانون من هذه التبعية وهنا تكمن القوة الرمزية التي على الرغم من طابعها التعسفي إلا أنها تحصد طاعة دون اللجوء إلى استعمال القوة المادية.

ومن هذا منطلق فإن العنف الرمزي يقوم في الأساس على جهل من يعاني منه وإذا بقيت الآلية خفية فإن نتيجة ذلك تظهر بمظهر الطبيعة وكأنها قدر (Addi, 2001, p. 955)؛ هذا النوع من العنف لا يتطلب أدوات مادية في ممارستها ولكن له تأثيرات مماثلة: الحصول على الخضوع والمشاركة للمسيطرين على الرغبات والتوجهات أحوال المسيطرين؛ العنف الرمزي هو عنف (Voiro, 2004, p. 03) ومادام كذلك فلا يمكن ممارسته إلا عن طريق تحقيق اعتراف وبالتالي قبول الطبيعة المبررة لممارسة السلطة ونشر الهيمنة. فالعنف الرمزي هو العنف الذي تعتمد فعاليته على الاعتراف.

4 - كيف يكون التفويض آلية لممارسة العنف الرمزي عند بورديو؟

يوضح بورديو أن مكمن التسلط، والعنف الرمزي في التفويض يظهر في العلاقة الدائرية بين المفوض والجماعة التي فوضته، وهو ما يحصل حينما يتصور المفوض عند امتلاكه سلطة الكلام، يصبح يرى نفسه بأنه علة ذاته لا علة الجماعة أي أنه يتمظهر بمظهرية أنه هو السلطة التي وجدت بفعل ذاتها ويغيب فعل الجماعة التي تصبح هنا هامشا بعدما كانت هي المركز وهو ما

يصوغه بورديو بقوله:"... وفي هذه العلاقة الدائرية ترى جذر الوهم الذي يتيح في النهاية للمتحدث الرسمي أن يظهر وأن يتظاهر بأنه علة ذاته ظن بأنه علة ما ينتج سلطته كأن الجماعة التي تجعل منه متقلدا السلطات ليست موجودة -أو على أية حال ليست موجودة وجودا كاملا بوصفها جماعة ممثلة إن لم يكن هو موجودا ليجسدها (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 264) .

ويرى بورديو أن الأصح في التفويض رمزيا هو عملية يتم من خلالها إخفاء الدائرة الأصلية للتمثيل؛ أي دائرة قلب الأدوار بين المفوض والجماعة والتي يتم دسها تحت مسميات التمثيل والانتداب، والتوكيل ... وهذا ما عبر عنه بورديو بمصطلح الصنمية السياسية، التي ترى في الجماعة عبارة عن صنم لا وجود له ولا فعل إلا بوجود متحدث رسمي ينوب عنها؛ وبالتالي حدوث ما يسمى ب " الاستلاب السياسي"، الذي يمارسه المسيطرون دائما على الخاضعين بحجة عدم قدرة هذه الفئة الأخيرة على الكلام عن ذاتها إلا بواسطة منح كلمتهم لسلطة أخرى وهو ما عبر عنه بورديو بقوله: "ثمة تناقض ثنائي كامن في السياسة التي تكون حقيقتها أن الأفراد بقدر ما يكونوا أشد حرمانا – لا يستطيعون أن يؤسسوا لأنفسهم أو يتأسسوا كجماعة ؛ أي كقوة قادرة على أن تكون مفهومة وأن تتحدث وتنال الإصغاء إلا بتجريد أنفسهم لصالح متحدث رسمي" (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 264).

ونجد أوليفيه" فويرول" في مقال له بعنوان: (الاعتراف وأنا الاعتراف وسوء الاعتراف: على الاعتراف: على نظرية العنف الرمزي) يذهب إلى أن التفويض شكل من أشكال العنف الرمزي القائم على الاعتراف." يبدو أن نظرية العنف الرمزي عند بيير بورديو هي كذلك مساهمة كبيرة في فهم عمليات الاعتراف، والتي كانت موضوعا مركزيا منذ بحثه الإثنولوجي الأول في منطقة القبائل حتى رحيله أحدث الكتابات. يعكس مفهوم رأس المال الرمزي شكلاً غير مادي المنافسة والتراكم المتعلق بالهيبة، يصف العنف الرمزي عملية القبول للخضوع لعلاقات الهيمنة الاجتماعية، المبنية على الاعتراف بالمهيمن من قبل المهيمن عليه ;(Voirol, 2004, p. 405).

يذهب بورديو إلى شرح التفويض كآلية وطريق لتكريس العنف وممارسته من خلال السلطة المفوضة عن طرق توفر جملة من الشروط في السلطة المفوض إليها فعل الكلام، والتصرف نيابة عن النحن ككل يذوب في الأنا لتصبح "نحن عام" عن طريق امتلاك مكتب ومندوبين ونمط للتنظيم البيروقراطي، وختم، وشعار، وختامة رسمية، إلا أن توفر هذه الشروط لا يبرئ التفويض؛ إنما يبقى للتفويض جانب خفي مستتر وفيه تكمن الحقيقة المستترة لممارسة العنف الرمزي عن طريق هذه السلطة، وهو ما عبر عنه بورديو بمصطلح التحريف في فعل التفويض الذي يصبح بمثابة الإيمان بالوكيل في الكنيسة، وهو ما يوضحه القول التالي :" يمكن للمرء أن يرى بوضوح كيف تكون إمكانية التحريف منقوشة في فعل التفويض" (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 267).

ويكمن كذلك العنف الرمزي في التفويض بأن هذا الأخير سيكرس لنوع من الحرمان الثقافي بفعل الكلام نيابة عن الجماعة لجلب حقوقهم، وهو ما يرى فيه بورديو تكريس آخر للدونية وإعلاء السلطة وزيادة تثبيت الاستعدادات الفردية كتطبع يوهم الناس على أنهم غير قادرين عن التعبير عن انشغالاتهم؛ بحكم أنه تم ترسيخ ذهني كهابتوس في ذهنيتهم أنهم غير قادرين على الكلام بحكم مكانتهم الاجتماعية، وبفعل ما مارسته عليهم السلطة وأصحاب المراتب العليا الذين يكثفون رأسمالا رمزيا كرس في الآخر شعورا واستعدادا للدونية والشعور بعدم الأهلية، وهذا ما شرحته المقولة البورديوية التالية :" كلما زاد حرمان الناس ثقافيا على وجه الخصوص كلما كانوا مجبرين وميالين أكثر إلى إحلال وكلاء محلهم لتكون لهم سياسية " (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 267 268).

وفي هذه الحالة يرى بورديو أنه بواسطة التفويض تتم ممارسة عنف رمزي، وهو عنف مختبئ وراء جدار الكلام باسم الآخرين، ونيابة عنهم وهو ما يجعل هؤلاء أشخاص محرومين من الكلام، لأن فعل الإنصات هنا غير ممكن بحكم مكانتهم التي رسخت كاستعداد لقبول ما يفرض عليهم دون اعتبار أنه عنف، وبالتالي عدم امتلاكهم سلطة الكلام، لأنه وحسب بورديو الكلام المسموع مصدره أناس ذوي ثقافة عالية، أو بتعريف أدق أناس يملكون سلطة تخولهم لأن يصبح ما يتفوهون به مسموعا، أما أصحاب الطبقات الأضعف فإنهم مطالبون بالصمت.

من منطلق ذلك نجد بورديو يربط بين العنف الرمزي، والتفويض بحيث يصبح الأخير سببا في تكريس الأول وآلية كلامية إن صح التوصيف، ويتم ممارسة هذا العنف من قبل المفوَّض (بفتح الواو) من خلال عملية تواطؤ بين المفوض والعنف الرمزي من خلال غياب الوعي في الجماعة التي يمارس عليها هذا الفعل الرمزي.

كما يتجلى العنف الرمزي في عملية فعل التفويض من خلال انمحاء ذات الوكيل المفوض؛ ليصبح كشيء؛ نقصد تشيؤه بفعل التضحية التي يقدمها لصالح الشعب من خلال المهام الموكلة إليه، وكل هذه التضحيات من أجل أن يصبح اللاشيء الذي ضحى بذاته لأجله هو في النهاية كل شيء؛ أي بلغة بورديو هو موت الفرد العادي لكي يحل محله الشخص المعنوي وهو ما تشرحه لنا هذه المقولة: " ... فعن طريق محو نفسه تماما لصالح الرب أو الشعب يصبح الكاهن ربا أو شعبا – لأنني أصبح لا شيء – ولأنني قادر على أن أصير لا شيء على محو نفسي، على نسيان نفسي، على التضحية بنفسي، على التفاني- فإنني أصبح كل شيء . أنا لست سوى وكيل الرب، أو الشعب، لكن من أتحدث باسمه هو كل شيء، وبهذه الصفة فإنني كل شيء" (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 274).

فالمفوض بهذا الانمحاء الذاتي كما نفضل تسميته هو شخص تستتر مصلحته خلف الجماعة أي أنه يصير كل شيء ليس لأجل الجماعة في الحقيقة، إنما لتحقيق مصالح خاصة؛ لأنه

بعد كل هذا الانمحاء يبني ذاتا أخرى انطلاق من النحن، ذاتا تنطق باسم النحن لكنها تمسحه وتتجاهله وتهمشه ليصبح النحن هو اللاشيء بعد أن كان كل شيء، عن طريق امتلاك المفوَّض "بفتح الواو" القوة الرمزية عن طريق الاختباء وراء مصلحة الجماعة حتى يغطي مصلحته، وهذه هي الطريقة الشرعية لممارسة العنف الرمزي؛ يقول بورديو شارحا ذلك :" فحين يريد جهاز أن يقوم بضربة قوة رمزية فإنه ينتقل من أنا إلى نحن، بحيث أنه لا يقول (اعتقد أنكم أيها السوسيولجيون يجب أن تدرسوا العمال) بل يقول: (أننا نعتقد أنكم يجب ...)" (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 277).

وبذلك نجد أن بورديو يرى أن المصلحة الخاصة للوكيل تتوارى خلف مصلحة الجماعة (الشعب)؛ أي أن الظاهر هو مصلحة عامة والباطن خصوصي التسمية تم تعميمه تحت شعار الشعب يقول، والشعب يريد، والشعب يطلب ...، وهنا تكمن حنكة الوكيل في الاستخدام الذكي والملون للغة، وسحر الكلمات التي يسميها بورديو ب "بالبلاغة السياسية "

وفي نفس المعنى تناول بورديو بالإيحاء مسألة التفويض تحت عنوان: (تحويل الخاص إلى كلي جامع)، والتي اعتبر أنها طريقة صنميه تحمل من السحر اللغوي ما يجعلها تنطوي تحت لواء العنف الرمزي؛ كون مسألة التحويل هنا هي اسم فقط، لأن هؤلاء الذين يحملون شعار مصلحة الكلي هي محض زيف وطنطنة لغوية تظهر المصالح الخاصة فيها عل أنها عمومية وتعمل وفق منطق سحري يؤهلها لتحويل الخاص إلى كلي جامع ويمكننا أن نعود للتوضيح أكثر إلى ما لخصه بورديو في قوله :" ... ثمة ضرب من مسار الصنمية، أو من "التمائمية " في منطق اللجنة (...) أعضاء اللجنة كما قدرلي أن أراهم في هذا الإطار الخاص هم عاملون خصوصيون حقيقة، يحملون مصالح خاصة بدرجات متفاوتة (...) ففيهم متعهدون يريدون الحصول على تشريع مؤات لمبيع بعض أنواع المنتجات، وبينهم مصرفيون وموظفون يريدون الدفاع عن مصالح مرتبطة بجسم، أو هيئة، هذه المصالح تعمل ضمن منطق يجعلها تنجح في ذلك الضرب من الكيمياء السحرية التي ستحول الخاص إلى كلي جامع وتجعل من المصلحة الخاصة هي المصلحة العامة" (بورديو، عن الدولة: دروس في الكوليج دي فرانس، 2016، صفحة 68).

التفويض جزء من ممارسة العنف الرمزي يطلق عليه بورديو تسمية (الدجل المشروع)، وهذا هو جوهر التفويض وحقيقته المستترة الذي تلعبه الأنا أثناء ازدواجيتها وفق استراتيجيات وآليات من شأنها أن تمنح هذا الاغتصاب أو اللعبة المزدوجة الأوجه عن طريق حدوث تطابق بين مطالب الجماعة، (الشعب) ومطالب (الوكيل) ورغباته؛ ومن منطلق هذا التوافق في الرغبات، والأهداف تصبح اللعبة سهلة وتخرج مخرج صدق ليظهر فيها الوكيل بمظهر الشخص المتفاني الذي هدفه مصلحة الشعب الذي فوضه لأداء المهمة ويلخص بورديو هذا في:" أن إحدى الآليات التي تتيح عمل الاغتصاب واللعبة المزدوجة (...) هو أن مصالح الوكيل، ومصالح الموكلين تتطابق بدرجة كبيرة في كثير من الحالات؛ بحيث يستطيع الوكيل أن يعتقد ويبعث الاعتقاد بأنه ليس لديه

من المصالح خارج مصلحة موكليه (Bourdieu P. , La délégation et le fétichisme politique, 1984, p. 49 50)، "فالناس الذين يحسنون خدمة مصالح موكليهم هم أناس يخدمون أنفسهم بينما يخدمون موكليهم" (بورديو، بعبارة أخرى، 2001، صفحة 280) .

يصف بورديو التفويض بأنه عبارة عن تضليل مرخص له من قبل السلطة لتدعيم وجودها بطريقة مشروعة بطريقة الورع لكنها منافقة، فالتضليل المرخص الذي يلجأ أليه الذين يقومون بنفس الشيء مستفيدين من التخويل والسلطة، اللذين تمنحهما إياهم المؤسسة (بورديو، ماذا يريد الكلام أن يقول، 2023، صفحة 127)

كل هذه التحليلات التي قدمها بورديو في كتابه "بعبارة أخرى" حول التفويض كانت من أجل تبيان العنف الرمزي الذي يتوارى خلف هذا المصالح الذي يبدو من خلالها للوهلة الأولى بريء من كل الأغراض، ومنزه من كل غاية، ليصبح التفويض سلاح السلطة السياسية لممارسة العنف الرمزي بسلاح شرعي؛ عن طريق عملية بريئة ونزيهة هدفها المعلن هو الدفاع عن مصالح الجماعة بواسطة العميل المخلص (Bourdieu P. , La délégation et le fétichisme politique, 1984, p. 535). وضمان حقوقها عن طرق رفع أياد الكلام باسمها، وتستمر تدريجيا عن طريق دخول أطراف أخرى، أو سلطة أخرى كطرف ثالث في العملية التفويضية مع الوكلاء والموكلين، وأطلق على هذا الطرف الثالث مصطلح هيئة الوكلاء أو الجهاز، هذا الأخير الذي يحمل ميولا خاصة عن طريق وجود قانون الأجهزة الذي يكمن حسب بورديو في تأثير المكتب وعن طريقه تتم عملية تركيز السلطة لدى الوكلاء الذين بدورهم يعملون على تطوير أيديولوجية، ليصبحوا بعد ذلك محترفين بالتلاعب تحت لواء عبارات وكلمات رمزية تحمل من العنف الخفي ما يجعلها تبدو شرعية، وفي كنف هذه الشرعية المزيفة يتوطن العنف الرمزي في التفويض تحت صبغة الغش، والخداع، والتضليل، وبلغة فريدريك نيتشه نوع من الحيل المبتكرة من قبل الضعفاء، ويتساءل: " كيف يمكن للشيء أن يتولد عن ضده؟ وعلى سبيل المثال أن تتولد الحقيقة عن الضلال أو إرادة الحقيقة عن الخداع، أو الفعل الغيري عن المصلحة الذاتية" (نيتشه، 2003، صفحة 22) وكما يقول ثوين فان دايك: "هكذا يتمكن السياسيون من الوصول إلى الخطاب العام بسبب سلطتهم السياسية، والأساتذة الجامعيون بسبب مصدر المعرفة التي يتمتعون بها، وإذا كانت السلطة تعني سيطرة أفراد مجموعة واحدة على الآخرين فإن مثل هذه الأنماط السياسية والأكاديمية أو سلطة الشركات تكون فعلا مؤثرة إذا كانت توفر منفذا خاصا لوسائل إنتاج الخطاب، ومن ثم إلى إدارة عقول الناس أجمعهم" (دايك، 2014، صفحة 53).

5- خاتمة:

في ختام هذا البحث نصل إلى أن التفويض هو أحد النظريات السوسيولوجية في فلسفة اللغة عند بيير بورديو. وإن صياغته لهذا المفهوم جاء تدعيما وتطبيقا لنظريته حول العنف الرمزي وربطه بين التفويض وبين العنف الرمزي عن طريق إثبات أن الأول يتخذ الوجه البريء لممارسة

العنف بطريقة شرعية. كما اعتبر أن المفوض شخص حاز على رأسمال رمزي كثيف مكنه من افتكاك حق الكلام باسم الجماعة، هذه الأخيرة التي كانت قد فوضته بحكم ما يمتلكه من رأسمال لغوي ناتج عن مكانته الاجتماعية التي يشغلها.

التفويض عند بورديو آلية للممارسة العنف الرمزي في مجال السياسة التي اعتبرها أحد المجالات الخصبة لممارسة العنف الرمزي والجزء المعلن منه خدمة المصلحة العامة، وآما الخفي فهو خدمة المصالح الفردية. ويظهر التفويض عنده أيضا كآلية لممارسة العنف في المجال التربوي الذي تتوارى خلفه السلطة التربوية من خلال امتلاكها حق استخدام العنف، كما اعتبر التفويض طريق يتم من خلاله تأصيل العمل التربوي المسيطر من خلال اعتبار التفويض ترسيخ لإعادة إنتاج الانتقاء التعسفي وإعلاء الطبقة الغالبة على حساب المغلوب. اعتبر بورديو التفويض تكريسا للعنف بطريقة مرنة وهو عبارة عن عنف خفي ومن هذا المنطلق أطلق عليه عدة تسميات منها: (الدجل المشروع، النفاق الورع، الرياء القانوني، التضليل المرخص له).

يمكننا تقديم تعريف خاص للتفويض من منطلق الآراء البورديوية بأن التفويض هو توظيف الرأسمال الرمزي من قبل السلطة بطريقة وبتقنيات تبدو في الظاهر نزيهة، لكن باطنها يخفي تجاوزات غير شرعية تكرس لزيادة الفروقات، من خلال زيادة القوي قوة الضعيف ضعفا.

قائمة المراجع

اولا المراجع باللغة العربية

1. إبن منطور. (1984). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.
2. بيير بورديو. (2001). بعبارة أخرى. القاهرة: ميريث للنشر والمعلومات.
3. بيير بورديو. (2007). الرمز والسلطة. المغرب: دار توبيقال للنشر والتوزيع.
4. بيير بورديو. (2016). بيير بورديو، عن الدواة" دروس في الكوليج دي فرانس. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
5. بيير بورديو. (2023). ماذا يريد الكلام أن يقول " اقتصاد التبادلات اللغوية. لمغرب: بيير الدار البيضاء.
6. توين فان دايك. (2014). الخطاب والسلطة. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
7. عاطف عبد الله مكاوي. (2015). التفويض الإداري (المجلد 01). القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
8. فريدريك نيتشه. (2003). ما وراء الخير والشر" تباشير فلسفة المستقبل" (المجلد 01). بيروت لبنان: دار الفارابي.

ثانيا المراجع باللغة الاجنبية

1. Addi, L. (2001/6). Violence symbolique et statut du politique dans l'œuvre de Pierre Bourdieu. Dans Revue française de science politique, p. 949963.
2. Bourdieu, P. (1986). Ce que parler veut dire3. Paris: Minuit.
3. BOURDIEU, P. (1997). Méditations Pascaliennes. , Paris: Le Seuil.
4. bronckart, v. (2016). déléguerLes étapes-clés d'une délégation réussie. paris: Everand.
5. I Lord. (2011). Gestionnaires inspirants : les 10 règles de communication des leaders. Montréal, Québec: Éditions Logiques.
6. J. et Langenfeld, S Merkling. (2010). Psychologie, sociologie, anthropologie من الاسترداد تم . books.google.fr/books?id=j1ilcF5JwcC&printsec=frontcover&dq=2010+sociologie&hl=fr&ei=L5dKTomqH4.
7. Jean-Claude Passeron Pierre Bourdieu. (1970). La reproduction. Éléments pour une théorie du système d'enseignement. , Paris,: t Éditions de Minuit.
8. Landry, J.-M. (2016, aout 01). La Violence symbolique chez Bourdieu volume 13, no. Aspects sociologiques, p. 86.
9. Pierre, B. (1981). Le Sens pratique.
10. Pierre, B. (Compositeur). (1982). Présentation de ce que parler veut dire. ina.fr.
11. Pierre, B. (1984, juin). La délégation et le fétichisme politique. . Vol. 52-53, Le travail politique, 49-50.
12. Pierre, B. (1984, 06 O7). La délégation et le fétichisme politique. In: Actes de la recherche en sciences. Actes de la Recherche en Sciences Sociales, 49-55.
13. Sacramento, O. (2019, July). "Effet d'oracle" ou la (potentielle) violence symbolique de l'intervention sociale Conference Paper. Effet d'oracle" ou la (potentielle) violence symbolique de l'intervention sociale (p. 03). Beirute, Líbano: Universidade de Trás-os-Montes e Alto Douro.
14. Université. ((n.d.)). Grand dictionnaire terminologique من الاسترداد تم . http://www.granddictionnaire.com/btml/fra/r_motclef/index1024_1.asp
15. Voiro, O. (2004). Reconnaissance et me Reconnaissance et meconnaissance: sur láconnaissance: sur latheorie de la violence symbolique. Londres: SAGE Publications.
16. Voirol, O. (2004). Reconnaissance et me Reconnaissance et meconnaissance: sur láconnaissance: sur la theorie de la violence symboliquéorie de la violence symbolique. Information sur les sciences sociale, p. 403 433.